تاريخ

فواز طرابلسي: تأريخ جديد لحربٍ نخالها قديمة

أحمد محسن

احتاج فواز طرابسي في الفصل الأول من كتابه الجديد «سايكس بيكو ـ بلفور: ما وراء الخرائط» (رياض الريس للكتب والنشر ـ 2019) إلى مقدّمة ثانية، إلى جانب المقدمة الأولى. الفصل الأول بمثابة «تقديم للتقديم»، وقد اختار له كاتبه عنواناً يدلّ على محتواه. للوهلة الأولى، قد يفترض القارئ أن العمل البحثي يبدأ بعد الفصل الأول، وقد يستغرب متابع طرابلسي أخيراً هذا «الخلل» المنهجي. ولكن، تدريجاً، سيتضح أن «تقاسيم على الوحدة والتقسيم» هو محطة ضرورية للاستدلال إلى معنى العنوان الكبير في الحاضر، وطفرة الالتباسات التي تحيط بهِ، قبل الذهاب إلى نشأة المعاهدة وتفكيكها أصلاً وفصلاً. إنه جزء من البحث، يقتطف الشواهد من «كشكول» الصحافة والإعلام، محاولاً أن يرسم صورة للمرحلة التي يتناولها الكتاب، ولكن كما يتم تناولها في السائد، قبل أن يذهب إلى التاريخ.

أشياء كثيرة يعيدها الكتاب إلى الضوء. السكة الحديدية التي تقطّعت أوصالها: الأسباب والخلفيّات. عنصرية ويلسون ضدّ الأميركيين من أصل أفريقي، ومعنى أن يكون المنتصر عنصرياً. نضوج نتائج الحرب في مجلس إدارة مصالح المنتصرين، المسمّى بعصبة الأمم. أوهام «الثورة العربية»، وكيتشنر الأبيض، حيث ينطلق المشروع التوسّعي الكولونيالي من هذه النقطة بالضبط. يضعنا الكتاب أمام سلسلة من الالتباسات التي تشوّش وعيَنا المعاصر، عنوانها سايكس ـ بيكو، والبئر التي تسكن تحت العنوان. إنّها أكثر من معاهدة بين رجلين، وأقلّ بكثير من أن تكون السبب الرئيس في ما آلت إليه «الخرائط». وللخرائط مساحة وافرة من الاهتمام البحثي في الكتاب. ثانيها، إعلان بلفور، وكيف صار يُقال عنه إنه «وعد». وكيف يُستعمل النعت الأخير بدلاً من عنوانه الأصلي. وبلفور الإعلان، أكبر من اسمه، لكنّه هو الآخر أصغر بكثير من سبب حاسم للصيغة الاستعمارية بصورتها المتطوّرة. وهذا استدعى إسهاباً وتفكيكياً «خلف الخرائط».

كما في «تاريخ لبنان الحديث»، لا يلتزم طرابلسي النقل، بل يتجاوزه إلى التحليل. فإن كان التاريخ غير محايد، لماذا يكون التأريخ محايداً؟ ذلك لا يلغي أن الكاتب التزم بمنهج دقيق في العرض وفي التفسير، لكن الفصول العشرة تستقيم في إطار كرونولوجي واضح، ينطلق من فهم عميق لطبيعة القوى الاستعمارية التي شاركت في الحرب، ويحاول قدر المستطاع أن لا تغرق صورة المُستعمرين بالتعاطف تحت ذريعة الضعف أو التعرّض للخديعة. على العكس من ذلك تماماً. صحيح أن الحرب العالمية تأتي في السياق الكولونيالي وأنّها دشّنت كولونيالية خبيثة جديدة، لكن لا يوجد أبطال عرب مخدوعون، وإن خُدعوا، فذلك لا يعفيهم من مسؤوليّة التعامل مع المستعمرين، كما يفرد مساحة للتذكير بانتصارات العثمانيين المفصليّة في غاليبولي والكوت، وهي انتصارات كان لها دور حاسم في تحديد مصير تركيا، على عكس الخيبات العربية التي عوّلت على الاستعمار.

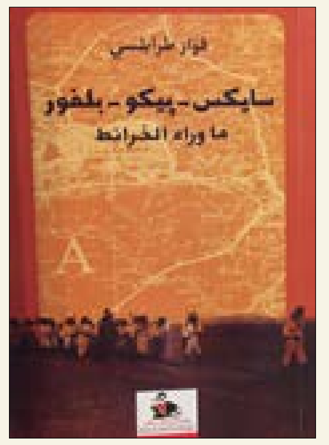

يضعنا كتابه «سايكس بيكو ـ بلفور: ما وراء الخرائط» أمام التباسات تشوّش وعينا المعاصر

هكذا، ينبّه البحث دائماً إلى طبيعة الحرب الكولونيالية، التي أفرزت ملايين القتلى، وما يتخطّى المعاهدة والإعلان، حصتنا الظاهرة من الاستعمار. يصرّ الكتاب مراراً على التذكير بالـ«التبرير الحضاري» الذي تسلّح به مستعمرو فلسطين، بوصفه عين ما يتكرّر بلا توقّف في الخطاب الكولونيالي الاستيطاني: «ينبغي أن نطهّر بؤرة الطاعون في الشرق ونعيدها إلى الصحّة والعافية: ينبغي بناء سكك الحديد إلى آسيا لتكون طرقات لنقل الحضارة، على اعتبار أنّ الدولة اليهودية في فلسطين «ستكون الموقع الأمامي لأوروبا ضدّ آسيا والموقع المتقدّم للحضارة ضدّ البربرية». لكن كل هذا يبقى تأريخاً وليس رصفاً أيديولوجياً، إذ يشرح صاحبه في فصول لاحقة، التوزّع الديموغرافي لمناصري الصهيونية في بلاد الاستعمار نفسها، حيث «كانوا يشكلون قلّة قليلة في أوساط يهود بريطانيا البالغ عددهم 300 ألف لا أكثر». كان الصراع محتدماً على تمثيلهم وعلى الموقف من الموطن القومي بين التيار الصهيوني وخصومه الاندماجيين. ولفهم إعلان بلفور من ناحية تاريخية، يجب فهم النزاع بين القوّتين الكولونياليتين الكبيرتين. يخلص طرابلسي من بين خلاصاته، إلى أن بريطانيا، عملياً، انتزعت فلسطين من فرنسا، فالمشروع كولونيالي في الأساس. ولذلك، فإنّ ما يفسّر العنصر الحاسم الذي غلّب وجهة نظر حاييم وايزمان والفريق الصهيوني على خصومهم الداعين إلى البقاء في أوروبا، هو نجاحه في الانضمام إلى الرغبة البريطانية في السيطرة على فلسطين، فيما قواتها تتأهّب لاحتلالها، ونسف فكرة الإدارة الدولية، وخصوصاً منع فرنسا من أن يكون لها وجود في فلسطين. جاء ذلك تأكيداً لأهمية أن تكون فلسطين حاجزاً بين المنطقتين الفرنسية والبريطانية، وتحقيقاً للسيطرة البريطانية على ضفتي القناة. والفكرة الأخيرة، لا تشذّ عن السياق: لقد كان المشروع الكولونيالي البريطاني راسخاً في الشرق، وكان ينطلق من الدفاع عن مكتسبات كولونيالية في السويس والهند، للانطلاق إلى مرحلة ما بعد كولونيالية، سيتصدّر النفط العراقي عناوينها، إضافة إلى الأهمية الكبيرة لميناء حيفا، بينما نالت فرنسا والحلفاء الآخرون ما تبقّى من «الحصص» البريطانية.

في كتابه، يتحدث طرابلسي عن إعلان المملكة العربية السورية وزوالها. هذا الزوال الذي يعتبره طرابلسي في مقدّمة عهد نيو ـ كولونيالي، لكنّه لا يقسو كفاية على الدور العربي في القبول. لوقت طويل، عارض الشريف حسين مشروع السكة الحديدية من المدينة المنورة إلى مكة. كان يقول إن ذلك يتعارض مع مصلحة القبائل. لكن هذا العمل ليس انتروبولوجياً إلى هذه الدرجة، وليس كل شيء. فحسب طرابلسي أيضاً، كان الشريف حسن هو الذي بادر إلى الاتصال بالسلطات البريطانية في القاهرة بعد نزاع نشب بينه وبين اسطنبول. فقد عيّنه السلطان عبد الحميد أميراً على مكة ضدّ إرادة انقلابيي «جمعية الاتحاد والترقي»، فتخوّف من أن يخلعوه عن الحكم بعدما تدهورت علاقته بهم، فقد عارض فرض المركزية على الولايات التابعة لتركيا. ربّما، النقطة التي تفوت طرابلسي، ولا يعتبرها مفصليّة، هي عن دور نزاع الشريف حسين مع عبد العزيز بن سعود، في حسم موقفه إلى جانب البريطانيين، أو في تسريع قتاله إلى جانبهم. ذلك لا يلغي أنّ البحث دقيق ووافر المراجع، ولا يسقط في أيّ نزعات «بطولية»، بل يضع القتال العربي إلى جانب البريطاني في سياقه التاريخي الصحيح، ولا يؤسطره. لقد كان تحالفاً مع الاستعمار، ولقد أفرز الأخير ما أفرزه.

جمال باروت: الصراع الصفوي العثماني على طريق الحرير

منى سكرية

يستثير جمال باروت العقل، عقل القارئ، في قراءته للمتغيّرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي حكمت الصراع العثماني - الصفوي للسيطرة على طريق الحرير والذي تبلور في القرن الرابع عشر مع تجارة الحرير بوصفها مصدراً رئيساً في التبادل العالميّ واعتمدت عليه موارد التجارة الخارجية للبلدين. يقدّم باروت «معالجة وإضافة بحثيتين جديدتين في دراسة تلك المتغيّرات»، و«في ضوء جدل المتغيّرات الاجتماعية المستقلّة والتابعة والوسيطة وغيرها في إطار منهج التاريخ الاجتماعي». هكذا، نراه يقيم الميزان في محاكاته لطرفَي الصراع، وما رافق تلك الحقبات من عهودهما، بأسلوب ومنهج تفكيكيّ متشابك عَقَدَ لتقصّياته للوقائع التاريخية الغزيرة والمتداخلة مبدأ الإنصاف والتناصف. وهو ما تجلّى في كتابه الجديد «الصراع العثماني – الصفوي وآثاره في الشيعية في شمال بلاد الشام» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات). كأنّما في نيّته اللامنحازة إلّا من القهر. وهو ما تبدّى في آخر صفحات الكتاب. أن يستبطئ مخزونات اللاوعي في العقل الجمعي لهذا الطرف أو ذاك، منعاً للقراءات المغرضة، واستباقاً لردود القراءات غير العقلانية.

يركّز نطاق البحث على موقع شمال بلاد الشام وأعالي الجزيرة الفراتية (يحدّد المدى التاريخي الزمني لإشكالية البحث باندلاع النزاع المملوكي-العثماني في القرن الخامس عشر، ومن ثمَّ اندلاع الصراع العثماني-الصفوي بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي)، أي نطاق مملكة حلب المتاخمة للأناضول والممتدّة على طول جبال طوروس الجنوبية من طرسوس في كيليكيا إلى ملطية ثم إلى الفرات، متوقفاً أمام الحضور الشيعي المتجذّر في شمال بلاد الشام. ويُقصد بالشيعية في هذا البحث «الفضاء الشيعي الديموغرافي الجهوي العام والمتنوّع شيعياً في شمال بلاد الشام كما تشكّل على المدى التاريخي الطويل للقرون الخمسة التي سبقت اندلاع الصراع العثماني-الصفوي، وكان من أبرز وحداته: الجماعات الإسماعيلية، النصيرية (العلوية)، الشيعية الإمامية، الجماعات الصوفية العرفانية التي تُحايث بين العرفان والتشيع الروحي، والإسماعيلية النزارية والدروز والحروفية. أما الجماعات الإسلامية غير السنيّة، فأبرزها اليزيدية التي كانت خلال القرنين 15 و16 من كُبرى الفرق الدينية المذهبية في حواضر حلب.

في تلك البقعة من الجغرافيا البشرية ميزة «التنوع الإثني والمذهبي والديني الشديد، والمُتمازج على مدى تاريخها الطويل بين التركمان والعرب والأكراد والأرمن والروم البيزنطيين والفرس نوعاً ما، وبقايا الصليبيين» (ص17). هذا التمازج المعقّد «يشكل مفتاح فهم التاريخ الأنثروبولوجي والاجتماعي لتشكّل الحركات الشيعية العرفانية» (ص17)، وقد لا يتمايز عمّا هو عليه حال هذا التنوع في تلك البقعة الجغرافية، فالنذر من شواهدها تمثَّل في خريطة الحرب الدائرة على سوريا، فاستنطقت الجغرافيا حضور التاريخ ومعالمه.

وقد كان لحضور التاريخ صولات من الحوادث الدامغة في استمراريتها، بدءاً من الصراع المملوكي- الإيلخاني (1312-1317)، إلى المملوكي-العثماني (1344 نهاية سيطرة المماليك)، فالعثماني-الصفوي، وما سبقه من صراع الآق قوينلي (السنّة) والقرّا قوينلي (الشيعة) وهما اتحاد عشائر تنحدر من أصل تركماني واحد من تركستان، انقسمت وتطيّفت وتصارعت على طريق الحرير، ثم الطور التأسيسي (الشامي) للحركة الصفوية الجديدة (القزلباشية)،

سلاح التطييف كقناع لصراع زعامات ومصالح اقتصادية وقيام إمبراطوريات

فالحركة الأردبيلية الجديدة (الصفوية أو القزلباشية اللاحقة) التي تحوّلت مع الشيخ جنيد الأردبيلي (تولاها بين 1446-1447) في بنية الدعوة الأردبيلية (الصفوية) من طريقة سُنيّة إلى طريقة جهادية شيعية، بعدما نفاه إلى حلب زعيم القرّا قوينلو الشيعي شاه جيهان خوفاً من تأثيرات تشيُّعه في ذات النطاق. مع سيطرة المماليك، بدأت الصورة الجماعاتية - المذهبية تتغيّر لمصلحة الفقهية السنية، وتصفية حركة الإحياء الشيعي (الإمامية) للمرجعية التي قادها الشهيد الأول الجزيني بإعدامه «بالسيف، ثم صُلب، ثم رُجم، وأُحرق بدمشق بتهمة النصيرية»، فتحولت «بلدة الفوعة إلى مركز التشيُّع الصلد في غرب حلب»، مع مُفارَقة أوردها المؤلف من أن هذا البطش وفتاوى ابن تيمية ضد شيعة كسروان لم يطالا شيعة شمال سوريا وتحديداً أرياف حلب لأن «الشيعية الغالبة لدى الإمارات التركمانية الخاضعة رسمياً للمماليك شكّلت أيديولوجيا عقيدة غزو العالم البيزنطي أو «الجهاد» ضده وتقويضه وصولاً إلى نهايته على أيدي العثمانيين مع السلطان الفاتح (1451-1481)» (ص47و48).

تتحرّك صفحات التاريخ على صفحات الكتاب بسرعة وحيوية، وتتوالى أحداثاً تفيض بالدماء والمكر والتصالح والأطماع وغلبة منطق الحروب على منطق التسويات (إلّا في حالات الضعف)، وإحدى أسلحتها المشحوذة سلاح التطييف كقناع لصراع زعامات ومصالح اقتصادية وقيام إمبراطوريات، مع الكثير من التصفيات الهوياتية- المذهبية- الإثنية المتبادلة، ومع القليل القليل من احترام التنوع إلا في كيفية تأمين المصالح الاقتصادية أو جباية الضرائب كما في تعامل العثمانيين مع الأقليات (اضطرار السلطان العثماني سليمان القانوني تحت ضغط تعاطي جنود الإنكشارية الخمر إلى التراجع عن فتوى تحريمه والسماح ببيعه في جبال النصيرية، واستصدار فتوى على المذهب الحنفي بأن الشرب غير السُكر؟!). والفتوى هنا لطالما كانت في خدمة سلاطين جهتي الصراع المذكور وشواهده بارزة في نصوص الكتاب.

إن الصراع المُموَّه دينياً تقيم في جنباته وفي أحيان كثيرة المطامع الشخصية ضمن المذهب الواحد، والإمبراطورية الواحدة والحيز الجغرافي الواحد، والمصالح الداهمة (الموقف الصارم من المؤسستين الفقهيتين الصفوية والعثمانية ضد العلويين الغلاة أو القزلباش سواء كانوا في النطاق الصفوي أو في النطاق العثماني- ص173). كما تدفع نوائب تلك الصراعات إلى «تَسَنُّن» و«تَشَيُّع» متبادلين تبعاً للهيمنة الثقافية- السياسية- القتالية للمُهيمِن (في الكتاب الكثير من الوقائع الدالة على ما نذكر). مثلاً، تحالف السلطان أوزون حسن السُنّي (1452) مع الشيخ جنيد الشيعي للتخلّص من شقيقه جهانكير في حين تحالف شقيق حسن مع جهان شاه زعيم القرّا قوينلو ضده. وكان لقاء الأوّلين براغماتياً بين سلطان جديد وشيخ طامح إلى السلطانية، فقاد السلطان حسن حركته الأردبيلية الجديدة بمزيج من الشيعية - السنية بدا على النقود التي سكّها، ولاحقاً تحالف مع أمراء البندقية (إيطاليا) ضد السلطان محمد الفاتح المتحالف مع أمراء فلورنسا لاستكمال صراعهما بدعم خارجي. أمر مارسه أكثر من طرف على مدى عقود الصراع إلى أن انتهى بخوار قوة الإمبراطوريتين المتصارعتين على طريق الحرير، وانتقال جماعات بشرية بترحال معاكس تبدّلت خلالها الانتماءات المذهبية، كما لامست تلك الاستعانة بالخارج قوى محلية تابعة لقوى الداخل ومتمرّدة في آن كما في حالة آل جنبلاط (حركة ابن جنبلاط ومحاولة الاستقلال الإقليمي –ص-213)..

عقود من الصراع تراوح بين هدنة وهدنة وحروب وحروب، إلى أن بدأ الحرير يخبو على وقع نهوض أوروبا واكتشاف الأميركيتين، ودخول قوى أخرى على خط الصراع (روسيا القيصرية) وتبدل التحالفات، واصطدام محاولات التسوية الصفوية -العثمانية «بقوة كل من المؤسستين الفقهيتين الصفوية الشيعية والسنية العثمانية» (ص250)، و«تحكّمت أيديولوجيا المظلومية الاجتماعية والمذهبية للجماعات الطائفية المتخيّلة في هذه المفارقات الزمنية التاريخية» (ص229). يختتم باروت بحثه التفكيكي الثري والجدلي والعابق بما يزيل التكهنات والأوهام، بسؤال الأمير شكيب أرسلان المتجدّد دائماً، متسائلاً معه: هل نحن مُؤهّلون للخروج من مرحلة فتوى نوح الحنفي وما يناظرها من فتاوى مقابلة؟

صحافة

جهاد الزين: مهنة المصاعب على لسان أحد شهودها

فارس اشتي *

في كتابه «المهنة الآثمة» (دار الريس ـ 2018)، يقف جهاد الزين على ربوة عالية، يرنو الى الحقل الذي أمضى ـ وما زال ـ حياته فيه ويقرأ تجربته الحية بأسلوب «جهادي» يخلط السياسة بالأدب، والعام بالخاص بلغة عربية يعمد الى النحت فيها، اشتقاقاً وانشقاقاً كي يوصل فكرته، الاستراتيجية في الغالب، فيشهد لها وعليها، فكأنه اثنان: الشهيد والشاهد، حسب القول الصوفي.

يتضمن الكتاب تسعة فصول، وخاتمة تدور كما توحي عناوينها حول:

1- اللامقال، انشقاق اللغة واشتقاق السياسة
2- الارتياب
3- نص الفساد وفساد النص
4- النص المحرّم
5- نذالة النص ونص النذالة
6- ماذا يريد القارئ، هل القارئ هو القارئ؟
7- اليومي يهاجم التاريخي
8- وقائع الواقعة الواحدة، حقائق الحقيقة الواحدة
9- تهويد كتابتي السياسية، الخاتمة.

يمكن قراءة الكتاب من أكثر من موقع، وقد أثرت قراءته من موقع العملية الإعلامية التي درّستها في جامعتي لسنوات طويلة، وموقع جهاد في العملية الإعلامية ضمن الجهاز المرسل. والمرسل هنا هو الجريدة/ الجريدتان، والمتلقي، وهو هنا الجمهور اللبناني ثم العربي، أو بالأحرى القراء اللبنانيون والعرب، وهم، في النهاية، قلة/ نخبة مثقفة ومسيسة. والرسالة، وهي أحداث العالم. وتلفّ العملية الإعلامية بأطرافها الثلاثة وتتحكم بها بيئة، هي نظام سياسي لبناني في مجال عربي وعالمي. لحسن حظ جهاد أو لسوئه، كان المرسل الجريدتين الأبرز في لبنان، وكان المتلقي الجمهور الأكثر ثقافة صحافية، وكانت الرسالة ممكنة الإنتاج من مصادر متنوعة ومتعددة وفي جو من «الحرية». وكان النظام اللبناني في بدء تجربة جهاد، وما زال، متقلقلاً، وإنْ كان جهاد يعتبر الوطن متقلقلاً، لا النظام. وكان المجال العربي متحولاً من مناخ حامل لهموم مستقبلية ومسكون بالتسابق نحو التقدم، الى مناخ حامل لهموم الماضي ومسكون بالتسابق نحو الخلف. كما كان العالم الذي شهد بدء تجربته محكوماً بثنائية قطبية شبه ثابتة وبإعلام عماده الجريدة، فأصبح عالماً وحداني القطب تترنح وحدانيته وأصبحت الجريدة، وبخاصة الورقية، هامشية مع تنامي محطات البث التلفزيوني والإلكتروني.

جهاد في موقعه هذا يتعاطى، بالتكوين، مع وقائع متغيرة. عالم يقطع الأنْفس بسرعة تغيّره: بيئة ووسائل إعلام ومصادر أخبار وتحولات، فكيف تعامل مع ذلك، أو بالأحرى كيف شهد على تجربته؟ فجهاد، كوافد الى الصحافة، حمل معه توجهه اليساري، لا بل التزامه، مع مشتقاته كافة، وتخصصه الحقوقي وميزانه الدقيق، ولو الشكلي، وإرثه العاملي، أدباً ومعاناة ومعارضة، كما حملت إليه الصحيفتان اللتان كتب فيهما، وهما الأكثر انتشاراً وحضوراً، العالم على رحابته، قضايا ومتابعة وتكنولوجيا، فوعى جيداً، أو بالأحرى تدرج في وعي استحالة أنْ يكون العالم حولك على صورتك، واستحالة أنْ تجعل هذا العالم على وقع تصوراتك، واستحالة أنْ تقدم للقارئ العالم كما تتصوره، لا كما هو. واستحالة أنْ يكون ـ وهو المحرر ثم المعلق في الجريدة ـ هو الجريدة، كمرسل وممّول وموقع.

وكانت الانطلاقة إدراك جهاد «أنّ اليسارية كرصيد معرفي ثقافي هي الرصيد الذي يمنح استخدام التعليق قوة تحليلية. لا مجال للمطابقة مع الواقع، هذه المطابقة تأخذها من اليمين... التفاوت المدهش بين العمق الثقافي للتحليل اليساري وقوة الرؤية الواقعية للتحليل اليميني رغم سطحيته» (ص 33)، فكان كذلك، أو بالأحرى درّب نفسه ليكون كذلك، وهكذا أصبح.

ففي موضوع الكتابة، واجه، بارتياب ـ حسب تعبيره ـ قضايا إشكالية له، كإنسان وكمعلق: «الحرب اللبنانية، اتفاق أوسلو، صعود الشيعة، الحرب السورية» وغيرها، فخرج من خطابه اليساري ليدرك خطورة الحرب على لبنان، وعلى أي بلد، وخرج من إرثه العروبي، وهو حفيد لأحد حماة التيار العروبي وتنظيماته في خمسينيات القرن العشرين، ليرى إيجابية أوسلو ويؤيده، وخرج من شيعيته، وهو من عائلة أعطت لنيل الشيعة حقوقها، ليرى خطر هذا الصعود، وخرج من حسّه الديموقراطي المرهف ليرى خطر عسكرة الانتفاضة في سوريا، وكان، كما في عرضه في الكتاب وفي متابعته الأسبوعية، صادماً. وفي موضوع الكتابة أيضاً، وخارج القضايا الأربع الآنفة، كان الحدث ـ أي حدث ـ موضوعاً مُشْكلاً بحد ذاته. فهل الحدث هو الواقعة؟ وهل الواقعة هي ما نُشِرت أخبارها، أم أنّها وقائع، كما سمّاها جهاد؟ وهل ما نُشِر عنها هو «الواقع كما هو» وفق ما تردد بعض وسائل الإعلام؟ وهل الواقعة/ الحدث التي هي، دائماً، وقائع ـ تبعاً لمحْدِثيها وناقليها وبالتالي متلقيها ـ على «سكونها» الذي عرفته المرحلة الكتابية في الإعلام، أم أنّها متغيرة في كل لحظة في ظل التدفق الهائل في المرحلة السمعية البصرية للإعلام؟ وهل يستطيع الكاتب مجاراتها؟ لقد أدرك جهاد ذلك في ما كتب عن «القصور عن الإحاطة» و«اللهاث وراء الخبر» «وقائع الواقعة الواحدة» وغيرها (ص 83 و233 - 258)، فحاول ـ كما أورد الكتاب وورد في مقالات المؤلف ـ التقاط المدلول الاستراتيجي في الخبر، وبذل جهود لتعزيز مواكبته لليومي ولطريقة صناعة الخبر عبر دورة أقدم عليها في إحدى الصحف الأميركية وأخرى في فرنسا.

في موضوع الكتابة، أيضاً وأيضاً، هناك النص المحرّم ـ حسب تعبير جهاد ـ وبخاصة مع صعود الخطاب الديني من جهة، وكثرة رعاة الرصاص الصامت أو المتفجر بين الحاكمين. فكيف يتعامل معه الإعلامي وقد أصبح النصّ بشقيه هو الحاضر الأكبر في الأحداث؟ كيف يتعامل معه ودمه «مباح من قوى مجتمعية من تحت وقوى سلطوية من فوق»؟ تملي هذه الضغوط المهددة رقابة «ذاتية» على الكاتب، لكن جهاد كان من القلة التي لم تستسلم لهذه الضغوط.

وكان هاجس جهاد، كما يستنتج من الكتاب وكما ورد فيه أيضاً: كيف يوفق في قوله/ كتابته بين عمق التحليل اليساري المنغرس فيه، ودقة التحليل اليميني التي تتطلبها المهنة؟ وكيف يوفق بين إرثه الأدبي والعروبي و«الشيعي» ومتطلبات السياسة وقراءتها؟ وكيف يوفق بين حركية الحدث ومحظوراته وضرورة الإخبار عنه والتعليق عليه؟ وكيف يوفق بين نخبويته الثقافية وتفاوت مستويات قرائه؟

تطرق جهاد إلى كل هذه التناقضات والتوفيقات، فكيف أعلن تعامله معها؟ حاول نحت كلمات ومصطلحات في اللغة تقارب العامية من دون أن تكونها وبـ«لغة» أنيقة في فصاحتها وواقعية في تعبيراتها وبأسلوب قدم فيه الواقعة/ الحدث ومدلولاته في أطره المحلية والعربية والعالمية وفي بعديه الثقافي والسياسي، فخرج بذلك عن الوصفي والخطابي، في آن واحد.

شغله التعبير عن الواقعة/ الحدث ومدلولاته برغم المحظورات المعيقة، فطرح إشكالية اللامقال في المقال: كيف تعبر عما تعجز عن البوح به؟ وطرح إشكالية نص الفساد وفساد النص ونذالة النص ونص النذالة كقضايا مطروحة، يومياً على المحرر والمعلق، وعلى القارئ أيضاً.

وفي ختام العرض السريع للكتاب، يمكن القول: نجح جهاد في كتابة سيرته الصحافية ونقدها، خارج عروض بعض السير الوصفية وربما المبتذلة، وقدم في ذلك خدمة للصحافيين الجدد وللباحثين ومن ثم للقراء في فهم إنتاج النص/ التعليق. دافع جهاد عن فكرة هابرماس ودعا الى إعتمادها وهي الوطنية الدستورية، وهو دفاع يستحق أنْ يتوقف عنده الباحثون والسياسيون، كدعوة لبناء أطر سياسية، خارج إطار الدعوات لتجديد ما يتعثر تجديده من أطر دينية وقومية وعالمية. لامس جهاد فكرة مهمة في الحديث عن النخبة (نهاية نص النخبة أم نهاية النخبة الوطنية؟) وهي ملامسة، وإنْ لم يتعمق، في صلب العمل الإعلامي والسياسي، فالجريدة هي نتاج مرحلة الرأسمالية الوطنية المتوافقة مع نشأة الدولة القومية، فأنتجت النخبة الوطنية لهذه الدولة، وكانت النخبة. أما اليوم مع مرحلة الشركات العابرة للدول، اقتصاداً ومالاً وإعلاماً ومعلومات، فقد تراجعت الجريدة وانكفأت النخب الى زوايا البحث الأكاديمي وتشظت النخب الوطنية. أو ليس معبّراً سيادة أسلوب التغريدات عند كل الساسة في العالم؟ أو ليس معبراً انكفاء القوى المصرّة على الأساليب القديمة، أو بالأحرى عدم إدراك متغيرات العصر؟ نجح جهاد في نحت تعبير «تهود» للدلالة على حالة الترحال الدائم والمستمر له ولنا وللناس. ترحال في المكان والزمان، ترحال في الوعي والثقافة. في الخلاصة، لا يغني هذا العرض عن الإمتاع الغني في قراءة النص، لنرى الشاهد في ما شهد ولنرى أنفسنا في مرآته.

* أستاذ جامعي

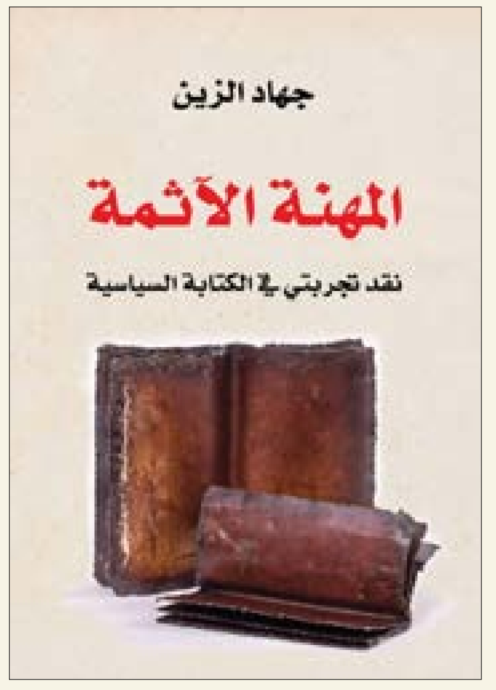

تراجعت الجريدة وانكفأت النخب إلى زوايا البحث الأكاديمي وتشظّت النخب الوطنيّة

لمحات

يوكو أوغاوا

بترجمة معن عقل، صدرت النسخة العربية من قصة يوكو أوغاوا «حذاء لك» (الآداب). الكاتبة اليابانية (1962) التي تطرّز أعمالها بالتفاصيل وتوصف بأنّها «تعبّر عن ميكانيزمات النفس البشرية بشكل خفي لكن ثاقب»، تلاحق في عملها السيّد ديشيمارو الذي يعمل كمحنّط ذكريات. راوية القصّة تعمل مساعدةً له وموظّفة استقبال، تتلقّى من الزبائن أشياء غريبةً من حياتهم جاؤوا بها إلى المتخصّص الغامض: عظام عصفور، لحناً، ندبةً... علماً أنّ أوغاوا نالت جائزة «آكوتاغاوا» اليابانيّة المرموقة عن روايتها «الحمل» فيما ترجمت لها «الآداب» سابقاً «حوض السباحة» و«غرفة مثالية لرجلٍ مريض»

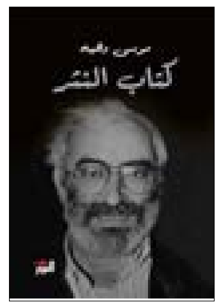

موسى وهبه

عن «دار التنوير»، صدر «كتاب النثر» للمفكر والكاتب والأكاديمي اللبناني الراحل موسى وهبه (1941 ـ 2017). في مقدمة الكتاب، يورد صديقه الكاتب جمال نعيم أنّ الراحل خصه قبل وفاته، بنصوصه التي كان ينوي نشرها في كتابين مستقلين. الأول هو كتاب «البعد الفلسفي بالعربي»، والثاني هو «كتاب النثر». يضم الأخير نصوصاً مختلفة ومتباعدة نشرها وهبه في مجلات وجرائد عدة. تتناول هذه النصوص مواضيع متنوعة ومتفرقة مثل: «الحديث عن نيتشه» وإمكانية العيش المشترك، وضرورة الحرية، ونقد الموضوعية ونقد الحقيقة وقضايا التعدد والتنوع والمرأة وصولاً إلى البناية التي سكنها في بيروت.

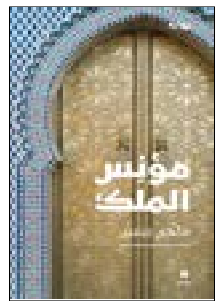

الماحي بينبين

بعد صدورها عام 2017 بالفرنسية، انتقلت رواية «مؤنس الملك» للتشكيلي والكاتب المغربي الماحي بينبين إلى العربية عن دار «هاشيت انطوان/ نوفل». يستمد العمل أجواءه وأحداثه من سيرة الكاتب الذي كان والده مؤنساً ومسلياً للملك الحسن الثاني على مدى ثلاثة عقود. كان هذا الوالد حكواتياً ذا ثقافة شعبية واسعة، وموهبة خارقة في تحويل الأحداث إلى طرفة زاخرة بالتفاصيل. من خلال سيرة هذا الوالد، سيعبر بينبين إلى حقبة مفصلية في تاريخ المغرب، كما إلى انعكاسات عمل الأب على أسرته، خصوصاً مع تورط ابنه الضابط في انقلاب «الصخيرات» عام 1971.

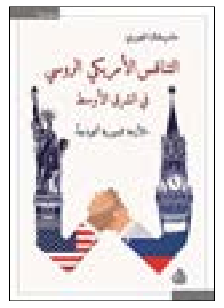

سامر سلمان الجبوري

يتضمن كتاب «التنافس الأميركي الروسي في الشرق الأوسط: الأزمة السورية أنموذجاً» (دار الرافدين) لسامر سلمان الجبوري، عرضاً للعلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا وكيفية تطورها بحسب المراحل التاريخية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم. يتوقف المؤلف عند ماهية العلاقة التي تحكم الطرفين في الوقت الحاضر، خصوصاً في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط باعتبارها «منطقة حيوية وجاذبة للدول الكبرى لأهميتها الجيوستراتيجية واحتوائها على المادة الحيوية الأولى في العالم (النفط)، بالإضافة إلى كونها منطقة مستوردة لكل أنواع السلع ابتداءً من المنتجات العسكرية وانتهاءً بالمحاصيل الزراعية».

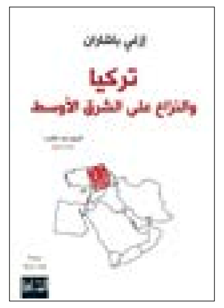

إزغي باشاران

«لماذا أعلنت تركيا الحرب على حلفاءٍ للغرب؟ لماذا انهارت عملية السلام مع الأكراد؟ ما هو دور تركيا في الحرب التي تستنزف سوريا والشرق الأوسط. فالدور الذي تضطلع به معقدٌ بسبب الصراع الذي طال أمده؟». يحاول كتاب «تركيا والنزاع على الشرق الأوسط» (دار الساقي) لإزغي باشاران أن يظهر كيف أنّ علاقة تركيا بالأكراد هي جوهر أزمة الشرق الأوسط، وكيف أنّ إخفاق أردوغان في إحلال السلام هو مفتاح فهم الأحداث الراهنة. علماً أنّ المؤلفة هي صحافيةٌ تركيةٌ متخصصة في تغطية الصراع الكردي والشؤون التركية.

واصف شرارة

يهدي واصف شرارة كتابه «خواطر ويوميات 2018» (دار الخلود)، إلى مسقط رأسه بنت جبيل «التي تسكن أنفاسنا وإحساسنا، بصرخة كبريائها الشامخ في فضائها... بأسماء الشهداء من أبنائها... وبأسماء المناضلين والمجاهدين الذين حلوا اسمها وتاريخها... وبأسماء رموزها الدينية والسياسية والعلمية والأدبية من شعراء وكتّاب...». يضم العمل شذرات وخواطر ويوميات الكاتب، إلى جانب اقتباسات من قصائد ونصوص لكتّاب وشعراء عرب وأجانب أمثال نزار قباني، ولويس أراغون. ويلج المؤلف أبواباً كثيرة تبدأ بالحب والعشق ولا تنتهي بالحرب والعنف.